المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين المؤيد بالوحي الأمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن سار على منهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

ان أعظم ما تزخر به الأمة الإسلامية هذه الشريعة السمحة، والفقه الإسلامي ثمرتها؛ فهو الذي ينظم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بالناس، قال تعالى" يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" [١] ،ويكفي في فضله قول سيدنا وجدي رسول اللهﷺ[مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ][٢]. فهو محور حياة المسلم؛ لأنه يحقق السعادة في الدارين، ولا يتحقق ذلك إلا إذا عُمل بالمورد الصحيح والمنهج المستقيم، الذي انصب العلماء عليه استنباطا وتقعيدا وتفريعا وتخريجا فكان ولا زال يتجدد، ومعرفة الأحكام العملية بعد الاعتقاد الصحيح، هو ما تصبو إليه همم السلف الصالح صغيرهم وكبيرهم، فقيرهم وغنيهم كاسبهم وأميرهم جنديهم وقائدهم؛ لكي يأتي بالعبادة وقد ثلج صدره عن اللهﷻ ورسولهﷺ، وهذا لا يحصل إلا بالعلم والحث على طلبه بالجلوس في أحضان العلماء العاملين، وإسناد الرُكب إلى الرُكب لتحصل على العلم مقيدا بالسلوك والأخلاق السامية، ولهذا كان العلماء به أرفع مكانا، وأجلهم شأنا، وأكثرهم أتباعا وأعوانا.

يأتي هذا المؤتمر في هذه الظروف التي يمر بها عراقنا الحبيب؛ ليأخذ صداه في الدعوة إلى دور العلماء العاملين في هذه المحافظة لتوحيد صف المسلمين وتوجيه نداء إلى مكونات المجتمع بضرورة التأسي بالعلماء وليكونوا القدوة للقادة والدعاة؛ لكي يعملوا بإخلاص لله تعالى وفق المنهج الصحيح، وليُخلدوا بالذكر الجميل والثناء الحسن، ولقد اخترت بعد الاستخارة،

([١]) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

([٢]) أخرجه البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجُعفي البخاري (ت٢٥٦هـ)؛ صحيح البخاري، [دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط١(١٤٢٢هـ ـ٢٠٠١م)] كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقه في الدين، برقم ٧١ص٤٠.

واستشارة الزملاء الأفاضل أن يكون موضوع بحثي صلاح الدين الأيوبي وأثاره الفقهية، فلقد كثرت الدراسات التاريخية عن هذا السلطان القائد المسلم، أما عن كونه طالب للعلم فقيها فلم يسبق أن تناوله احد الباحثين، فأحببت أن أشارك ببحث شامل استقراءً من أثار وسيرة حياته من نشأته وجهاده ومواقفه وقيادته إلى وفاته، وأنى للضالع أن يدرك شأو الضليع في العلم والتعلم، وهي تخدم شِقَّين؛ جمع واستقراء الفروع وبيان القواعد الأصولية لها.

ولإبراز هذه المسائل اقتضى ذلك عليّ أن تكون خطة البحث من هذه المقدمة ومطلبين وخاتمة، وكما يأتي:

تضمن المطلب الأول: الترجمة للسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي.

أما المطلب الثاني: الآثار الفقهية له.

كان منهجي في هذا البحث استقراء وجمع المسائل الفقهية من المصادر ثم الاستدلال لها بالأدلة الشرعية، ثم مقارنتها مع أقوال المذاهب الفقهية المتفق عليها، بطريقة التخريج عند الفقهاء[1].

يعد هذا البحث ورقة عمل للحوار البناء، تضمن دعاوى عريضة تحتاج إلى أدلة وبراهين، أفرزتها عندي دراستي للتخريج الأصولي تنظيراً وتقعيداً وتطبيقاً وتحليلاً، وهي بين أيديكم بحثاً مؤيداً بالحجة والدليل قبولاً أو رداً، بحول الله تعالى ومنه وكرمه.

وصلى الله وسلم على حبيبنا محمدﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

---

(1) استعمل الأصوليون التخريج لبيان الأصل الذي خرّج الأئمة الأحكام والفروع الفقهية للمذهب، ولبيان المأخذ والدليل الشرعي والقاعدة، والقياس، وذلك بتعليل الأحكام لربط الفرع الحادث بالأصل الثابت فيه الحكم للاشتراك بالعلة، وربط الشبيه بشبيهه والنظير بنظيره وغيرها، فإن [الترتيب المنطقي للأمور ليقضي بأن القواعد الأصولية سابقة في الوجود على الفقه، كما يسبق أساس البناء في الوجود البناء نفسه ، فلا نتعقل وجود بناء قوي إلا بتعقل جذر سابق في الوجود على البناء. ونحن إذا رجعنا إلى الواقع وجدنا أن الفقه مسبوق بقواعد أصولية كان يبني عليها الفقهاء من الصحابة فمن بعدهم، يبنون عليها أحكامهم، ويلاحظونها عند الاستنباط، وان لم تكن هذه القواعد آنذاك مدونة في كتب ينظر اثر الاختلاف في القواعد الأصولية: مصطفى الخن ١٢١.

المطلب الأول: ترجمة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي

أولا: اسمه وكنيته ونسبه

يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر أشهر ملوك الإسلام، كان أبوه وأهله من قرية دوين (في شرقي أذربيجان) وهم بطن من الروادية، من قبيلة الهذانية، من الأكراد, نزلوا بتكريت[١].

ثانيا: ولادته

ولد في سنة (٥٣٢هـ) اثنين وثلاثين وخمس مائة هجرية ـ سنة (١١٣٧) ميلادية ـ، بقلعة تكريت، كان جده واليا عليها، ثم توفي جده شاذي، فتولي أبوه أيوب(نجم الدين) أعمالها إلى يوم ولادة يوسف (صلاح الدين)؛ وسبب ذلك إكرامه وإحسانه لعماد الدين زنكي بعد هزيمته أمام جيش الخليفة المسترشد عند أسوار بغداد[٢]، وقيل قتل أخوه (شيركوه) رجلا فعُزل أيوب وأُخرج من تكريت[٣].

ثالثا: نشأته

نشأ في دمشق، وتفقه وتأدب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية، وحدث في القدس. دخل مع أبيه (نجم الدين) وعمه (شيركوه) في خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (صاحب دمشق وحلب والموصل) واشترك صلاح الدين مع عمه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر (سنة٥٥٩هـ)، فكانت وقائع ظهرت فيها مزايا صلاح الدين العسكرية, وتم الظفر أخيرا، باسم السلطان نور الدين، فاستولى على زمام الأمور بمصر، واستوزره خليفتها العاضد الفاطمي؛ ولكن عمه(شيركوه) ما لبث أن مات, فاختار العاضد للوزارة وقيادة الجيش صلاح الدين، ولقبه بالملك الناصر, وهاجم الفرنجة دمياط، فصدهم صلاح الدين, ثم استقل بملك مصر، مع اعترافه بسيادة نور الدين, ومرض العاضد مرض موته، فقطع صلاح الدين خطبته، وخطب للعباسيين، وانتهى بذلك أمر الفاطميين. ولما مات نور الدين (سنة ٥٦٩هـ) اضطربت البلاد الشامية والجزيرة، ودعي صلاح الدين لضبطها، فأقبل على دمشق (سنة ٥٧٠هـ) فاستقبل بحفاوة، وانصرف إلى ما وراءها، فاستولى على بعلبك وحمص وحماة وحلب، ثم ترك حلب للملك الصالح إسماعيل بن نور الدين، وانصرف إلى عملين جديدين:

أحدهما: الإصلاح الداخلي في مصر والشام.

الثاني: دفع غارات الصليبيين ومهاجمة حصونهم وقلاعهم في بلاد الشام.

---

(١) ينظر الكامل في التاريخ: ابن الاثير٤٧٥/٩ ، البداية والنهاية: ابن كثير٧١/١٣ ، وفيات الأعيان: ابن خلّكان٤٩٤/٥، الوافي بالوفيات: الصفدي٣٨٦/٢٢ ، سير أعلام النبلاء: الذهبي ٤٧٠/١٢، الأعلام : الزركلي ٢٢٠/٨

(٢) ينظر وفيات الأعيان : ابن خلّكان

(٣) ينظر الكامل في التاريخ: ابن الاثير٢٢١/٩،سنة (٥٦٤هـ)

فبدأ بعمارة قلعة مصر، وأنشأ مدارس وآثارا فيها، ثم انقطع عن مصر بعد رحيله عنها (سنة ٥٧٨هـ) إذ تتابعت أمامه حوادث الغارات وصد اعتداءات الفرنجة عن الديار الشامية، فشغلته بقية حياته.

ودانت لصلاح الدين البلاد من آخر حدود النوبة جنوبا وبرقة غربا إلى بلاد الأرمن شمالا، وبلاد الجزيرة والموصل شرقا، وكان أعظم انتصار له على الفرنجة في فلسطين والساحل الشامي " يوم حطين " الذي تلاه استرداد طبرية وعكا ويافا إلى ما بعد بيروت، ثم فتح القدس (سنة ٥٨٣هـ)، ووقائع على أبواب صور، فدفاع مجيد عن عكا انتهى بخروجها من يده (سنة ٥٨٧هـ) بعد أن اجتمع لحربه ملكا فرنسا وانكلترا بجيشيهما وأسطوليهما، وأخيرا عقد الصلح بينه وبين كبير الفرنجة ريتشارد قلب الأسد(ملك انكلترا)على أن يحتفظ الفرنجة بالساحل من عكا إلى يافا، وأن يسمح لحجاجهم بزيارة بيت المقدس، وأن تخرب عسقلان ويكون الساحل من أولها إلى الجنوب لصلاح الدين، وعاد "ريتشارد" إلى بلاده، وانصرف صلاح الدين من القدس، بعد أن بنى فيها مدارس ومستشفيات، ومكث في دمشق إلى وفاته.

كان رقيق النفس والقلب، على شدة بطولته، رجل سياسة وحرب، بعيد النظر، متواضعا مع جنده وأمراء جيشه، لا يستطيع المتقرب منه إلا أن يحس بحب له ممزوج بهيبة. اطلع على جانب حسن من الحديث والفقه والأدب ولاسيما أنساب العرب ووقائعهم، وحفظ ديوان الحماسة[١].

رابعا ـ أسرته:

له عدة زوجات وإماء، وله من الأولاد(١٧) سبعة عشر ذكرا وبنت واحدة وهم :

١ـ الملك الأفضل نور الدين علي (ولد بمصرسنة٥٦٥هـ) وهو أكبرهم.

٢ـ الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان(ولد٥٦٧هـ بالقاهرة- ت٥٩٥هـ).

٣ـ الظافر مظفر الدين أبو العباس الخضر(ولد بمصر سنة ٥٦٨هـ)، شقيق الأفضل.

٤ـ الظاهر غِياث الدين أبو منصور غازي(ولد بمصر في سنة ٥٦٨هـ).

٥ـ المعز فتح الدين أبو يعقوب إسحاق(ولد بدمشق في سنة ٥٧٠هـ).

٦ـ نجم الدين أبو الفتح مسعود (ولد بدمشق في سنة٥٧١هـ)، شقيق العزيز.

٧ـ الأغر شرف الدين أبو يوسف يعقوب(ولد بمصر سنة ٥٧٢هـ)، شقيق العزيز أيضا.

٨ـ الملك الزاهر مجير الدين أبو سليمان داود(ولد بالقاهرة سنة ٥٧٣هـ)، شقيق الظاهر, (توفي سنة٦٣٢هـ في البيرة) كان صاحب قلعة البيرة (على شاطئ الفرات - قرب سميساط) وكان يحب العلماء ويقصدونه من البلاد[٢].

٩ـ أبو الفضل قطب الدين موسى(ولد بمصر٥٧٣هـ)، شقيق الأفضل، ثم لقب بالمظفر أيضا.

---

(١) وللمصنفين كتب كثيرة في سيرته منها: كتاب الروضتين : أبي شامة، في تاريخ دولته ودولة نور الدين، والنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية : ابن شداد، ويسمى سيرة صلاح الدين، والبرق الشامي في أخباره وفتوحاته وحوادث الشام في أيامه : عماد الدين الكاتب، والنفح القسي في الفتح القدسي : عماد الدين أيضا، و صلاح الدين الأيوبي وعصره : محمد فريد أبي حديد، وحياة صلاح الدين الأيوبي : أحمد بيلي المصري، ينظر وفيات الأعيان: ابن خلكان ٣٧٦/٢، طبقات السبكي ٣٢٥/٤.

(٢) الأعلام: الزركلي٣٣٦/٢

١٠ـ الأشرف معز الدين أبو عبد الله محمد(ولد بالشام سنة ٥٧٥هـ).
١١ـ المحسن ظهير الدين أبو العباس أحمد (ولد بمصر سنة ٥٧٧هـ)، شقيق الذي قبله.
١٢ـ المعظم فخر الدين أبو منصور توران شاه (ولد بمصر في سنة ٥٧٧هـ)، وتأخرت وفاته إلى سنة ٦٥٨هـ) وهو آخر من بقي من أولاد السلطان صلاح الدين. تفقه وتلقى الحديث في دمشق، وحدث. وخرج له الحافظ التوني (جزءا) في الحديث[١].
١٣ـ الجوال ركن الدين أبو سعيد أيوب ولد سنة ٥٧٨هـ)، وهو شقيق للمعز.
١٤ـ الغالب نصير الدين أبو الفتح ملك شاه، ولد في سنة ٥٧٨هـ) شقيق المعظم.
١٥ـ المنصور أبو بكر أخو المعظم لأبويه، ولد بحران بعد وفاة السلطان.
١٦ـ عماد الدين شادي لام ولد. ونصير الدين مروان لام ولد أيضا.
١٧ـ اما البنت فهي مؤنسة خاتون تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن العادل بن أيوب[٢].

خامسا: شيوخه

من أهم شيوخه الذين عاصرهم واخذ عنهم ما يأتي:
١ـ الشيخ قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري ، فقد حفظ في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين ـ أحد أعلام الأشاعرة ـ، وصار يحفظها صغار أولاده[٣].
٢ـ ابو جعفر القرطبي احمد بن علي بن عتيق[٤].
٣ـ القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي[٥].
٤ـ صدر الإسلام أبو الطاهر إسماعيل بن بكر المعروف بابن عوف الزهري الإسكندراني المالكي.تفقه على أبي بكر الطرطوسي، وسمع منه ومن أبي عبدالله الرازي. برع في المذهب وتخرج به الأصحاب، وقصده السلطان صلاح الدين وسمع منه الموطأ[١].

---

(١) الأعلام: الزركلي٢/٩٠
(٢) ينظر البداية والنهاية:ابن كثير١٣/ ٧٣،وفيات الاعيان:ابن خلّكان٥/٤٩٤،الوافي بالوفيات: الصفدي٢٢/٣٨٦ ، سير أعلام النبلاء: ١٢/٤٧٧و٤٧٩و٤٨٠و٤٨١.
(٣) كتاب العرش: الإمام الذهبي ؛ تحقيق : محمد بن خليفة التميمي(رسائل الجامعة الإسلامية) ١٢/٢٧، وينظر الخطط: للإمام المقريزي ٢/٣٥٨المكتبة الشاملة
(٤) الإمام المقرئ المحدث، أحمد بن علي بن أبي بكر عتيق بن إسماعيل الأندلسي، الفنكي، الشافعي، نزيل دمشق، وإمام الكلاسة ـ مدرسة الكلاسة، قال الصفدي: وكان يصلي إماما بالكلاسة ـ ، وأبو إمامها، ولد سنة(٥٢٨هـ)، سمع بقرطبة من الحافظ أبي الوليد بن الدباغ كتاب (الموطأ) بقراءة والده ، وخلق آخرون. ونسخ شيئا كثيرا. وكان دينا، صالحا، قانتا لله، بصيرا بالقراءات. روى عنه ابناه ؛ محمد وإسماعيل، وابن خليل، والشهاب القوصي، وعدة. مات سنة(٥٩٦هـ) -رحمه الله- ، وأبو جعفر هذا هو الذي استدعي لقراءة القرآن ليلة وفاة صلاح الدين الأيوبي، وطلب منه تلقينه الشهادة كما مر في ترجمة السلطان. ينظر البداية والنهاية: ابن كثير(سنة ٥٨٩هـ) ١٣/٧١، ، والأعلام: الزركلي، الوافي بالوفيات: الصفدي ٧ / ٢٠٥.
(٥) عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل وزير من أئمة الكتاب(ولد٥٢٩ بعسقلان- ت٥٩٦هـ بالقاهرة) كان من وزراء السلطان صلاح الدين، ومن مقربيه، ولم يخدم بعده أحدا، قال بعض مترجميه: (كانت الدولة بأسرها تأتي إلى خدمته) وكان السلطان صلاح الدين يقول: (لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل !) وكان سريع الخاطر في الإنشاء، كثير الرسائل منها (ترسل القاضي الفاضل) و (رسائل إنشاء القاضي الفاضل) و (الدر النظيم في ترسل عبد الرحيم) وله (ديوان شعر) ينظر النجوم الزاهرة ٦/ ١٥٦ وفيات الأعيان/ابن خلكان ١/ ٢٨٤ .

٥ـ الفقيه نجم الدين محمد بن الموفق الخبوشاني الصوفي الزاهد الفقيه الشافعي.تفقه على الإمام محمد بن يحيى تلميذ حجة الإسلام، وكان يستحضر كتابه المحيط في شرح الوسيط،وألف كتاباً سماه تحقيق المحيط،في ستة عشر مجلداً.روى ودرس وأفتى،وكان صلاح الدين يعتقد فيه ويبالغ في احترامه، وعمر له مدرسة الشافعية،وكان يبالغ في ذم العبيديين، ولما هاب صلاح الدين من الإقدام على قطع خطبة العاضد وقف قدام المنبر،وأمر أن يخطب الخطيب لبني العباس، ففعل ولم يقع، إلا الخير[٢].

والشيوخ الذين عاصروه كُثر، ولم أتوسع لعدم الإطالة، وذكرت أهمهم والأكثر مرافقة له.

سادسا: وفاته

توفي بقلعة دمشق بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء (٢٧)السابع والعشرين من صفر سنة (٥٨٩هـ) تسع وثمانين وخمس مائة، وحضر القاضي الفاضل وفاته، وغسله الدولعي ، وأُخرج في تابوته وصلى عليه القاضي محي الدين بن الزكي[٣]، ولم يدخر لنفسه مالا ولا عقارا. وكانت مدة حكمه بمصر (٢٤) سنة، وبسورية(١٩) سنة، ولم يدخر لنفسه مالا ولا عقارا.

قال العماد الكاتب : مات بموت السلطان الرجال وفات بوفاته الأفضال وغاضت الأيادي وفاضت الأعادي وانقطعت الأرزاق وادلهمت الآفاق وفجع الزمان بواحده وسلطانه ورزئ الإسلام بمشيد أركانه[٤].

المطلب الثاني: الآثار الفقهية للسلطان صلاح الدين

إن الباحث في ترجمة الناصر صلاح الدين يجد بعض المسائل الفقهية التي يذكرها أهل التراجم والتاريخ على أنها وقائع تاريخية فبدأت باستقراء المسائل، ثم قمت بتخريجها، والاستدلال لها ، وبيان القواعد الأصولية التي تستند عليها ومن هذه المسائل ما يأتي:

المسألة الأولى: العلم قبل العمل

نشأ صلاح الدين على طلب العلم ولم تفته صلاة الجماعة في المسجد، وإذا لم يتمكن من الذهاب إلى المسجد صلاها في بيته، وحرص على طلب العلم بعد أن أصبح قائدا وسلطانا، وواظب على سماع الحديث، وعندما توجه الملك صلاح الدين إلى الإسكندرية لينظر في تحصين سورها، وعمارة أبراجها وقصورها، سمع بها موطأ الإمام مالك على يد الشيخ أبي طاهر بن عوف عن الطرطوشي، وسمع معه العماد الكاتب وأرسل القاضي الفاضل رسالة إلى السلطان يهنئه بهذا السماع[٥]، وفي أثناء المعارك كان يطلب من أحد العلماء أن يقرأ عليه

---

(١) ينظر المكتبة الشاملة: كتب التاريخ؛ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان: اليافعي ٩٤/٢ سنة(٥٨١هـ).

(٢) ينظر المكتبة الشاملة: كتب التاريخ؛ مرآة الجنان : اليافعي ١٠١/٢سنة(٥٨٧هـ).

(٣) ينظر الكامل في التاريخ: ابن الاثير٤٧٥/٩ ، البداية والنهاية: ابن كثير١٣/ ٧١، وفيات الأعيان: ابن خلّكان٤٩٤/٥، الوافي بالوفيات: الصفدي٣٨٦/٢٢ ، سير أعلام النبلاء: الذهبي ٤٧٠/١٢، الأعلام : الزركلي ٢٢٠/٨

(٤) ينظر الكامل في التاريخ: ابن الاثير٤٧٦/٩ ، البداية والنهاية: ابن كثير١٣/ ٧٣ـ٧٤

(٥) البداية والنهاية : ابن كثير(سنة ٥٧٧هـ) ٢١/١٣

بعض أحاديث صحيح البخاري، وقال أنا أول من قرأ الحديث بين الصفين، أراد أن يطلب العلم وهو بين الصفين وأن يقرأ أحاديث رسول اللهﷺ[١]، وبعد الانتصار خطب خطبة عظيمة وقال أيها الناس هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه البغي ولا الفخر، اسجدوا لله شاكرين وأمرهم أن يلتزموا التقوى وأن يتحروا أمر الله تعالى فيمتثلون له، ونهي الله تعالى فيجتنبوه، ولما عزم السلطان على فتح بيت المقدس، فقصده العلماء والصالحون والمتطوعة من كل فج عميق[٢].

ويحتج له بقول رسول الله ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)) [٣].

قال الامام البخاري ـ رحمه الله ـ (لقول الله تعالى{ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}[٤] فبدأ بالعلم وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وقال جل ذكره{ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[٥] وقال{وما يعقلها إلا العالمون}{ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}[٦]، وقال{هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[٧]، وقال النبيﷺ (من يرد الله به خيرا يفهمه)وإنما العلم بالتعلم وقال أبو ذرﷺ لو وضعتم الصمصامة[٨] على هذه وأشار إلى قفاه ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبيﷺ قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها وقال ابن عباسﷺ{كونوا ربانيين}حلماء فقهاء ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره) [٩].

وجه الدلالة: يتبين مما سبق تأكيدهﷺ على طلب العلم والتفقه في أمور الدين، وهو ما فهمه العلماء وساروا عليه، وهذا هو المنهج الذي سار عليه السلطان صلاح الدين فكان يطلب العلم وهو في الصف وفي ساحات المعركة يجاهد فكان أهل العلم هم أهل مجلسه ورفقاءه وندماءه.

المسألة الثانية: التأكيد على مسائل العقيدة بإزالة الأوثان والصور قبل أداء العبادات

حين فتح الله بيت المقدس، حيث نصر الله عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب الكافرة المغيرة وحده ودخل المسلمون بيت المقدس بعد اثنتين وتسعين سنة، ظل في أيدي الصليبيين، دخلوه في السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هجرية، دخلوا وكان يوم جمعة ولكنهم لم يصلوا الجمعة في ذلك اليوم لأنهم كانوا مشغولين ولم يسعفهم الوقت ليعدوا المسجد، فالمسجد مليء بالصلبان

---

(١) البداية والنهاية : ابن كثير(سنة ٥٨٩هـ) ٧٤/١٣.
(٢) البداية والنهاية : ابن كثير(سنة ٥٨٣هـ) ٣٧/١٣.
(٣) صحيح ابن حبان باب الزجر عن كتبة المرء السنن مخافة برقم ٨٩، ٢٩١/١ قال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم
(٤) سورة محمد: جزء من الآية ١٩
(٥) سورة فاطر: جزء من الآية ٢٨
(٦) سورة الملك: الآية ١٠
(٧) سورة الزمر: الآية ٩
(٨) الصمصامة: السيف الصارم الذي لا ينثنى، والصمصام: اسم سيف عمرو بن معد يكرب، ينظر الصحاح: الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)[دار العلم للملايين- بيروت،ط٤(١٤٢٠ه - ١٩٩٠م)]٢٤٦/٦مادة صمم.
(٩) الجامع الصحيح : الامام البخاري ٧١/١ باب العلم قبل القول والعمل.

والقذارة والخنازير ولذلك لم يصلوا إلا في الجمعة التالية، وفي الجمعة التالية كانت خطبة عظيمة، خطبة التحرير، خطبة الصلاة بعد الحرمان هذه المدة الطويلة[١].

ويحتج له بقول أم المؤمنين عائشةﷺ(أن أم سلمةﷺ ذكرت لرسول اللهﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرت له ما رأت فيها من الصور فقال رسول اللهﷺ أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله)[٢]، وقالت((حشوت للنبيﷺ وسادة فيها تماثيل كأنها نمرقة فجاء فقام بين البابين وجعل يتغير وجهه فقلت ما لنا يا رسول الله قال ما بال هذه الوسادة قالت وسادة جعلتها لك لتضطجع عليها قال أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة وأن من صنع الصورة يعذب يوم القيامة يقول أحيوا ما خلقتم)وفي الباب عن ابن عباسﷺ يقول سمعت أبا طلحةﷺ يقول سمعت رسول اللهﷺ يقول لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة تماثيل))[٣].

وجه الدلالة: يتبين من قولهﷺ إن الملائكة لا تدخل البيت الذي فيه صور أو تماثيل أو كلب ، والمسجد من باب أولى أن لا توضع فيه التماثيل والصور والصلبان، ولهذا لم يأمر السلطان صلاح الدين بإقامة صلاة الجمعة في المسجد الأقصى إلا بعد إزالة التماثيل والصلبان والنجاسات والخنازير منه. وهو موافق لأقوال أئمة المذاهب الأربعة.

قال الإمام الكاساني(ولو صلى في بيت فيه تماثيل فهذا على وجهين أما إن كانت التماثيل مقطوعة الرؤوس أو لم تكن مقطوعة الرؤوس فإن كانت مقطوعة الرؤوس فلا بأس بالصلاة فيه لأنها بالقطع خرجت من أن تكون تماثيل والتحقت بالنقوش والدليل عليه ما روي أن رسولﷺ الله أهدي إليه ترس فيه تمثال طير فأصبحوا وقد محي وجهه ، فتكره الصلاة فيه سواء كانت في جهة القبلة أو في السقف أو عن يمين القبلة أو عن يسارها فأشد ذلك كراهة أن تكون في جهة القبلة لأنه تشبه بعبدة الأوثان ولو كانت في مؤخر القبلة أو تحت القدم لا يكره لعدم التشبه في الصلاة بعبدة الأوثان

وكذا يكره الدخول إلى بيت فيه صور على سقفه أو حيطانه أو على الستور والأزر والوسائد العظام، وكذا نفس التعليق لتلك الستور والأزر على الجدار ووضع الوسائد العظام عليه مكروه لما في هذا الصنيع من (التشبيه) بعباد الصور لما فيه من تعظيمها، وإن كانت الصور على البسط والوسائد الصغار وهي تداس بالأرجل لا تكره لما فيه من إهانتها والدليل عليها حديث جبريل وعائشة ﷺ، ولو صلى على هذا البساط فإن كانت الصورة في موضع سجوده يكره لما فيه من التشبه بعبادة الصور والأصنام وكذا إذا كانت أمامه في موضع لأن معنى التعظيم يحصل بتقريب الوجه من الصورة فأما إذا كانت في موضع قدميه فلا بأس به لما فيه من الإهانة دون التعظيم ، ويكره أن تكون قبلة المسجد إلى حمام أو قبر أو مخرج لأن جهة

---

(١) البداية والنهاية : ابن كثير (سنة٥٨٣هـ) ١٣/٣٨ـ٤١

(٢) أخرجه البخاري باب باب الصلاة في البيعة وقال عمرﷺ إنا لا ندخل كنائسكم من أجل التماثيل التي فيها الصور وكان ابن عباسﷺ يصلي في البيعة إلا بيعة فيها تماثيل برقم٤٣٤.

(٣) أخرجه البخاري باب إذا قال احدكم آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الاخرى غفر له ما تقدم من ذنبه برقم٣٢٢٤، و٣٢٢٥، واخرجه مسلم باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة برقم ٥٦٤١.

القبلة يجب تعظيمها والمساجد كذلك قال الله تعالى { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}[١] ومعنى التعظيم لا يحصل إذا كانت قبلة المسجد إلى هذه المواضع لأنها لا تخلو عن الأقذار وروى أبو يوسف عن أبي حنيفة رحمهما الله تعالى أنه قال هذا في مساجد الجماعات)[٢].

المسألة الثالثة: إقامة الحدود على ساب الرسول ﷺ

قال ابن كثير، اجتمعوا كلهم أمير طرابلس وأمراء البلدان الأخرى وكان أشدهم على المسلمين أمير الكرك، حتى أن أمير طرابلس هذا قال له أن المسلمين أشداء فقال له لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا من كثرتهم وسترى عند النزال من تكون له العاقبة، وحينما كانت المعركة فر أمير طرابلس ووقع أمير الكرك أسيراً في يد صلاح الدين، وكان صلاح الدين رجلاً سمحاً كريم الخلق، كان يعامل الناس معاملة حسنة، فأجلس هؤلاء الملوك والأمراء بعضهم عن يمينه وبعضهم عن يساره، كبيرهم أقعده عن يمينه، وأعطاه كأس من اللبن فشرب منه ثم أعطاه لهذا الرجل أمير الكرك، فغضب صلاح الدين وقال له إنما أعطيتك لتشرب ولم آذن تعطيه هذا، ثم دخل خيمة أخرى ودعا بهذا الرجل، وعرض عليه الإسلام ليعفيه من القتل فأبى فقال له إذن ليس لك عندي إلا القتل انتصاراً لرسول الله ﷺ فقد كان كثير السب لرسول الله ﷺ وقتله وأرسل برأسه إلى الملوك في الخيمة الكبرى ليروا عاقبة هذا الإنسان الفاجر الذي لا خلق له ولا دين له[٣].

ويحتج له بقوله ﷺ(من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله ﷺفقال محمد بن مسلمة أنا فأتاه فقال أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين فقال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهن أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو

---

(١) سورة النور: الآية ٣٦

(٢) بدائع الصنائع: الامام الكاساني٥٣٩/١، فصل في بيان شرائط الاركان، وينظر كتاب المجموع: الامام النووي ٦٠/١٨، باب الوليمة والنثر، المغني: الامام ابن قدامة ويليه الشرح الكبير٥٦٩/٩

(٣) ينظر البداية والنهاية: ابن كثير٣٦/١٣(سنة ٥٨٣هـ)، وقد ذكر(سنة٥٨١هـ)٣٠/١٣ـ٣١ (اتفق مرض السلطان بعد ذلك مرضا شديدا، فكان يتجلد ولا يظهر شيئا من الالم حتى قوي عليه الامر وتزايد الحال، حتى وصل إلى حران فخيم هنالك من شدة ألمه، وشاع ذلك في البلاد، وخاف الناس عليه وأرجف الكفرة والملحدون بموته، وقصده أخوه العادل من حلب بالاطباء والادوية، فوجده في غياة الضعف، وأشار عليه بأن يوصي، فقال: ما أبالي وأنا أترك من بعدي أبا بكر وعمر وعثمان وعليا - يعني أخاه العادل وتقي الدين عمر صاحب حماه وهو إذ ذاك نائب مصر، وهو بها مقيم، وابنيه العزيز عثمان والافضل عليا - ثم نذر لئن شفاه الله من مرضه هذا ليصرفن همته كلها إلى قتال الفرنج، ولا يقاتل بعد ذلك مسلما، وليجعل أكبر همه فتح بيت المقدس، ولو صرف في سبيل الله جميع ما يملكه من الاموال والذخائر، وليقتلن البرنس صاحب الكرك بيده، لانه نقض العهد وتنقص الرسول ﷺ، وذلك أنه أخذ قافلة ذاهبة من مصر إلى الشام، فأخذ أموالهم وضرب رقابهم، وهو يقول: أين محمدكم ؟ دعوه ينصركم، وكان هذا النذر كله بإشارة القاضي الفاضل، وهو أرشده إليه وحثه عليه، حتى عقده مع الله عزوجل، فعند ذلك شفاه الله وعافاه من ذلك المرض الذي كان فيه، كفارة لذنوبه، وجاءت البشارات بذلك من كل ناحية، فدقت البشائر وزينت البلاد، وكتب الفاضل من دمشق وهو مقيم بها إلى المظفر عمر أن العافية الناصرية قد استقامت واستفاضت أخبارها، وطلعت بعد الظلمة أنوارها، وظهرت بعد الاختفاء آثارها، وولت العلة ولله الحمد والمنة

وسقين هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللأمة قال سفيان يعني السلاح فوعده أن يأتيه فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺفأخبروه)[١].

وجه الدلالة: يتبين من أمر رسول اللهﷺ بقتل كعب بن الاشرف ان اقامة الحد عند القدرة على من سب رسول اللهﷺ، وكذا اقراره بعد القتل، وامره بقتل بن ابي الحقيق.

قال الامام الجزيري: وإن كان سب الرسولﷺ من أشنع الجرائم وأقبحها وأن الذي يقدم عليه وعنده مثقال ذرة من العقل لا يرجى منه خير فإعدامه خير من بقائه[٢]، واختلف العلماء في قتلة عند القدرة عليه أو بعد استتابته سواء جاء تائبا بنفسه أم شهد عليه بذلك؛ لانه حق عبد فيه أن حق العبد لا يسقط إذا طالب به كحد القذف، فلا بد هنا من دليل يدل على أن الحاكم له هذه المطالبة ولم يثبت، وإنما الثابت أنه ﷺعفا عن كثيرين ممن آذوه وشتموه قبل إسلامهم، كأبي سفيان وغيره[٣], قال أبو بكر بن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ القتل، وممن قال ذلك مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي[٤].

المسألة الرابعة: اظهار شرائع الاسلام بإقامة صلاة الجمعة بعد فتح المدن والقلاع

حينما فتح صلاح الدين عكا أقام فيها صلاة الجمعة وقد حرمت فيها صلاة الجمعة أكثر من سبعين عاماً، لم تصلى فيها جمعة. وكذا فعل حين فتح بيت المقدس حيث نصر الله عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب الكافرة المغيرة وحده ودخل المسلمون بيت المقدس بعد اثنتين وتسعين سنة، ظل في أيدي الصليبيين، دخلوه في السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هجرية، دخلوا وكان يوم جمعة ولكنهم لم يصلوا الجمعة في ذلك اليوم؛ لأن المسجد مليء بالصلبان والقذارة والخنازير، وبعد ان أخذ المسلمون المسجد الأقصى وأصبح في أيديهم وتم ازالة الاوثان، كان في الجمعة التالية خطبة عظيمة، خطبة التحرير، خطبة الصلاة بعد الحرمان هذه المدة الطويلة.

ويحتج له بقول الله تعالى{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ () فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ

---

(١) أخرجه البخاري باب رهن السلاح برقم٢٥١٠، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) الفقه على المذاهب الاربعة: الامام الجزيري ١٠٧/٤.

(٣) قال أبو حنيفة وأصحابه: من برئ من محمد ﷺ أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع.
وعن مالك ومن وافقه على ذلك من أهل العلم فقد صرحوا أنه ردة، قالوا: ويستتاب منها، فإن تاب نكل وإن أبى قتل، فحكموا له بحكم المرتد مطلقا، و ما نقله عن الشافعي المشهور عنه، والمشهور قبول التوبة على تفصيل فيه.
قال الامام خاتمة المجتهدين الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه: السيف المسلول على من سب الرسول: حاصل المنقول عند الشافعية أنه متى لم يسلم قتل قطعا، ومتى أسلم: فإن كان السب قذفا فالاوجه الثلاثة هل يقتل أو يجلد أو لا شئ؟ وإن كان غير قذف فلا أعرف فيه نقلا للشافعية غير قبول توبته) ينظر الفقه على المذاهب الاربعة: الامام الجزيري ١٠٧/٤ ، وينظر حاشية رد المحتار: ٤١٨/٤، الحاوى الكبير: الماوردى

(٤) الاشراف على مذاهب العلماء: الامام ابن المنذر٦٠/٨. وينظر المجموع : الامام النووي ٢٨٩/١٦ وفيه ذكر الامام النووي قصة صلاح الدين مع امير الكرك.

وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[١]، قال ابن عاشور: هذه الآيات هي المقصود من السورة وما قبلها مقدمات وتوطئات لها فأن اليهود افتخروا على المسلمين بالسبت فشرع الله للمسلمين الجمعة . فاذا نادى مناد لأجل الصلاة من يوم الجمعة ، فعلم أن النداء هنا هو أذان الصلاة. وقد ثبتت شرعاً بالتواتر ثم تقررت بهذه الآية فصار دليل وجوبها في الكتاب والسنة المتواترة وإجماع الأمة. وكانت صلاةُ الجمعة مشروعة من أول أيام الهجرة . رُوي عن ابن سيرين أن الأنصار جمَّعوا الجمعة قبل أن يقدمَ النبيﷺ المدينة قالوا : إن لليهود يوماً يجتمعون فيه وللنصارى يوم مثل ذلك فتعالَوا فلنجتمع حتى نجعل يوماً لنا نذكر الله ونصلي فيه . وقالوا : إن لليهود السبت وللنصارى الأحد فاجعلوه يوم العَروبة . فاجتمعَوا إلى أسعدَ بنِ زُرَارةَ فصلى بهم يومئذٍ ركعتين . وروى البيهقي عن الزهري أن مُصْعَب بن عُمير كان أول من جَمَّع الجمعة بالمدينة قبل أن يقدمها رسول اللهﷺ ويتعين أن يكون ذلك قد عَلم به النبيﷺ ولعلهم بلغهم عن النبيﷺ حديثُ فضل يوم الجمعة وأنه يوم المسلمين. فمشروعية صلاة الجمعة والتجميع فيه إجابة من الله تعالى رغبة المسلمين مثل إجابته رغبة النبيﷺ استقبال الكعبة المذكورة في قوله تعالى: { قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام }[٢] وأما أول جمعة جمَّعها النبيﷺ فقال أهل السِيرَ : كانت في اليوم الخامس للهجرة لأن رسول الله قدم المدينة يومَ الاثنين لاثنتيْ عشرةَ ليلةً خلتْ من ربيع الأول فأقام بِقُبَاء ثم خرج يوم الجمعة إلى المدينة فأدركه وقتُ الجُمعة في بطن واد لبني سَالم بنِ عوف كان لهم فيه مسجد ، فجمَّع بهم في ذلك المسجد ، وخطب فيه أول خطبة خطبها بالمدينة.ويدل على أن صلاة الجمعة كانت مشروعة يومئذٍ وأن النبيﷺكان عازماً أن يصليها بالمدينة فضاق عليه الوقت فأداها في مسجد بني سالم ، ثم صلّى الجمعة القابلة في مسجده بالمدينة وكانت جمعة المسجد النبوي بالمدينة الثانيةَ بالأخبار الصحيحة .

وأول جُمعة جُمِّعت في مسجد من مساجد بلاد الإسلام بعدَ المدينة كانت في مسجد جُؤَاثاء من بلاد البحرين وهي مدينة الخَطّ قرية لعبد القيس . ولما ارتدت العرب بعد وفاة النبيﷺ ثبت أهل جُؤَاثاء على الإسلام[٣]، وحكم صلاة الجمعة قال ابن المنذر: واجمعوا على ان الجمعة واجبة[٤] لقوله تعالى {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} .والأمر بالسعي إذا نودي إليها والأمر يقتضي الوجوب ما لم يوجد له صارف ولا صارف له.

قال الامام الكاساني: فالجمعة فرض لا يسع تركها ويكفر جاحدها[٥]

قال ابن رشد: وجوب صلاة الجمعة على الاعيان، فهو الذي عليه الجمهور، لكونها بدلا من واجب[٦]

---

(١) سورة الجمعة : الآية ٩ـ١٠
(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٤ .
(٣) التحرير والتنوير من التفسير: ابن عاشور ١٦١/١٥
(٤) الاشراف على مذاهب العلماء: الامام ابن المنذر ٨٤/٢.
(٥) بدائع الصنائع: الامام الكاساني ١٨٠/٢
(٦) بداية المجتهد: ابن رشد ١٢٦/١

قال الامام النووي: صلاة الجمعة واجبة لما روى جابر رضى الله عنه قال " خطبنا رسول الله ﷺ فقال اعلموا ان الله تعالى فرض عليكم الجمعة فمن تركها في حياتي أو بعد موتي وله امام عادل أو جائر استخفافا أو جحودا فلا جمع الله له شمله ولا بارك له في أمره[١]

أما الحنابلة فقال الامام ابن قدامة: الأصل في فرض الجمعة الكتاب والسنة والإجماع...، وتجب الجمعة والسعي إليها سواء كان من يقيمها سنيا أو مبتدعا أو عدلا أو فاسقا نص عليه أحمد وهذا أعم وأشمل حتى مع الإمام غير العادل وغير السني[٢].

المسألة الخامسة: التأسي برسول اللهﷺ وأمراء المؤمنين، وأثر العلماء في الجيش

فقتلوا سبعين ألفاً من أهلها أو أكثر من ذلك، وسالت الدماء أنهاراً وغاص الناس في الدماء إلى الركب حين دخل الصليبيون القدس الشريف، منذ اثنتي وتسعين عاماً هجرية، ولكن هؤلاء اليوم جاءوا يطلبون العفو والصفح [بادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور فنقبها وعلقها وحشاها وأحرقها فسقط ذلك الجانب وخر البرج برمته فإذا هو واجب فلما شاهد الفرنجة ذلك الحادث الفظيع والخطب المؤلم الوجيع قصد أكابرهم السلطان وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان فامتنع من ذلك وقال لا افتحها إلا عنوة كما افتتحتموها أنتم عنوة ولا أترك بها أحدا من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين فطلب صاحبها بالبان بن بازران الأمان ليحضر عنده فأمنه فلما حضر ترقق للسلطان وذل ذلا عظيما وتشفع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم فقالوا إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا وكانوا قريبا من أربعة آلاف وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا وخربنا الدور والأماكن الحسنة وأحرقنا المتاع وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال وهدمنا قبة الصخرة وحرقنا ما نقدر عليه ولا نبقي ممكنا في إتلاف ما نقدر عليه وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت ولا خير في حياتنا بعد ذلك فلا يقتل واحد منا حتى يقتل أعدادا منكم فماذا ترتجي بعد هذا من الخير فلما سمع السلطان ذلك أجاب إلى الصلح وأناب على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير وعن المرأة خمسة دنانير وعن كل صغير وصغيرة دينارين ومن عجز عن ذلك كان أسيرا للمسلمين وأن تكون الغلات والأسلحة والدور للمسلمين وأنهم يتحولون منها إلى مأمنهم]

ورفض صلاح الدين في أول الأمر ثم نظر في العاقبة ووجد أن في هذا العفو خيراً وعفا عن هؤلاء على أن يتركوا ويذهبوا إلى مكان أمنهم في صور في لبنان، وكل واحد منهم يدفع ٢٥ ديناراً للرجل وخمسة دنانير للمرأة ودينارين لكل صغير وصغيرة فدية بسيطة معظمها أخذوها من مال المسلمين حينما احتلوا هذه الديار.

وكذلك وتنافس بنو أيوب فيما يفعلونه ببيت المقدس وغيره من الخيرات إلى كل أحد وعزم السلطان على هدم القمامة وأن يجعلها دكا لتنحسم مادة النصارى من بيت المقدس فقال اهل العلم له: إنهم لا يتركون الحج إلى هذه البقعة ولو كانت قاعا صفصفا وقد فتح هذه البلد قبلك أمير المؤمنين عمر بن الخطابرضي الله عنه وترك هذه الكنيسة بأيديهم ولك في ذلك أسوة فأعرض عنها

---

(١) المجموع: الامام النووي٢٤٣/٤ ، والحديث اخرجه ابن ماجة في سننه باب في فرض الجمعة برقم١٠٨١، قال الالباني: ضعيف.

(٢) المغني : الامام ابن قدامة ٥/٣ و ١٣.

وتركها على حالتها تأسيا بعمر رضي الله عنه ولم يترك من النصارى فيها سوى أربعة يخدمونها وحال بين النصارى وبينها وهدم المقابر التي كانت لهم عند باب الرحمة وعفا آثارها وهدم ما كان هناك من القباب[١].

ويحتج له بقوله تعالى{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىَ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدّواْ الْوَثَاقَ فَإِمّا مَنّا بَعْدُ وَإِمّا فِدَآءً حَتّىَ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ اللّهُ لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَلَن يُضِلّ أَعْمَالَهُمْ}[٢]

قال ابن كثير: يقول تعالى مرشداً للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين { فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ الرِّقَابِ } أي إذا واجهتموهم فاحصدوهم حصداً بالسيوف { حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ } أي أهلكتموهم قتلاً { فَشُدّواْ الْوَثَاقَ } الأسارى الذين تأسرونهم، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم،إن شئتم مننتم عليهم فأطلقتم أساراهم مجاناً، وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه[٣]

قال الامام الكاساني: ولنا أن قتل الأسرى مأمور به لقوله تعالى { فاضربوا فوق الأعناق } وأنه منصرف إلى ما بعد الأخذ والاسترقاق لما قلنا

وقوله سبحانه وتعالى { فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم } والأمر بالقتل للتوسل إلى الإسلام فلا يجوز تركه إلا لما شرع له القتل وهو أن يكون وسيلة إلى الإسلام ولا يحصل معنى التوسل بالمفاداة فلا يجوز ترك المفروض لأجله ويحصل بالذمة والاسترقاق لما بينا فكان إقامة للفرض معنى لا تركا له ولأن المفاداة بالمال إعانة لأهل الحرب على الحراب لأنهم يرجعون إلى المنعة فيصيرون حربا علينا وهذا لا يجوز[٤].

اما الشافعية فقال الامام النووي: ولا يختار الامام من القتل والاسترقاق والمن والفداء الا ما فيه الحظ للاسلام والمسلمين[٥].

قال الامام ابن قدامة: وإذا سبى الامام فهو مخير إن رأى قتلهم وإن رأى من عليهم وأطلقهم بلا عوض وان رأى أطلقهم على مال يأخذه منهم وإن رأى فادى بهم وان رأى استرقهم أي ذلك رأى فيه نكاية للعدو وحظا للمسلمين فعل[٦].

يتبين ان السلطان كان شديد الالتزام باوامر الله كثير التأسي برسول الله ﷺ، وامراء المؤمنين وكان كبار الناس من العلماء والصلحاء من بلاد الإسلام جاءوا لينضموا إلى جيشه ، فكان يسترشد برأيهم ويسمع لهم ويشاورهم ، ففي الاسرى اشاروا عليه بالفداء واخراجهم الى عكا وهو مذهب الجمهور، وعندما اراد هدم الكنيسة اشاروا عليه بالتأسي بفعل امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين فتح بيت المقدس

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير ١٣/٣٤ـ٤٢(سنة٥٨٣هـ)
(٢) سورة محمد: الآية ٤
(٣) تفسير القران العظيم :ابن كثير٤/٢٢٠ـ٢٢١
(٤) بدائع الصنائع :الامام الكاساني٩/٣٨٤ـ٣٨٥.
(٥) المجموع :الامام النووي٢١/١١٩.
(٦) المغني :الامام ابن قدامة ١٢/٤٦١

المسألة السادسة: ميراث صلاح الدين

عندما توفي صلاح الدين فتحت خزانته الشخصية وجدوا ان ما تركه من المال لا يكفي لجنازته، فلم يكن فيها سوى (٤٧)سبعة واربعين درهما ناصرية وجرما واحدا ذهبا سوريا ولم يخلف ملكا ولا دارا ، إذ كان قد انفق معظم ماله في الصدقات.

يتبين أن القائد صلاح الدين لم يبحث عن الجاه والملك ، وكان ـ رحمه الله ـ شديد التأسي برسول الله ﷺ وخلفائه ﷺ .

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر كل عسير، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الروؤف الرحيم النبي الأمي الامين، وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. بعد أن منّ الله عليَّ ووفقني إلى ختم هذا البحث، يمكن أن أستخلص أهم النتائج التي اتضحت لي فيه بما يأتي:

ـ يعد السلطان الناصر صلاح الدين التكريتي المولد قائدا مجاهدا شجاعا وفيا عالما.

ـ تميز عن اقرانه بحبه لدينه ونصرته ونصرة رسولهﷺ شديد الاهتمام بالدعوة لدينه بالعلم النافع والاخلاق الحميدة مع خصومه واعداء دينه، فضلا عن المسلمين فكان يتجاوز عن المسيء كأنه لم يرَ اساءته.

ـ كتبت فيه الكتب والمؤلفات عن حياته ونسبه وعقيدته واخلاقه وجهاده ووفاءه بعهده ؛ لكن لم تجمع اراءه الفقهية، فجمعت هذه المسائل وفق منهج تحليلي استقرائي لتخريج اراءه الفقهية ومذهبه الذي اعتمده فيها.

ـ كان يحكم برأي الجمهور في الغالب، ويرجح راي مذهب الامام الشافعي، استقراءً من تخريج الفروع الفقهية على القواعد الاصولية. والله اعلم

وصلى الله وسلم على الحبيب محمدﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر

ــ اثر الاختلاف في القواعد الأصولية: مصطفى سعيد الخن (ت١٤٢٨ه)[مؤسسة الرسالة ناشرون ـ بيروت، ط٢(١٤٢٤ه ـ ٢٠٠٣م)].
ـ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي [دار العلم للملايين ـ بيروت]
ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: الامام علاء الدين ابو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي(ت٥٨٧هـ)؛ تحقيق الشيخ علي محمد عوض، وعادل عبد الموجود [منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٢(١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)].
ــ بداية المجتهد ونهاية المقتصد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الاندلسي ؛تحقيق: خالد العطار[دار الفكر ـ بيروت ـط١(١٤١٥ ه ـ ١٩٩٥ م)
ـ البداية والنهاية: الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي(ت٧٧٤هـ) ؛ تحقيق: الشيخ مصطفى بن العدوي [دار ابن رجب ـ المنصورة ـ ط١(١٤٢٥هـ ـ٢٠٠٥م)].
ـ التحرير والتنوير من التفسير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ).
ــ التخريج الاصولي وصلته بعلم اصول الفقه: احمد حميد [بحث منشور؛ الجامعة العراقية/ المؤتمر الرابع لكلية الشريعة].
ـ تفسير القران العظيم :ابو الفداء اسماعيل بن كثير القريشي(ت٧٧٤هـ)[دار السلام ـ الرياض،دار الفيحاء ـ دمشق ط٢(١٤١٨هـ ـ١٩٩٨م)]
ـ الحاوى الكبير: العلامة أبو الحسن الماوردى(ت٤٥٠هـ)[دار الفكر ـ بيروت]
ــ الخطط: للامام المقريزي المكتبة الشاملة
ـ سير أعلام النبلاء : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي(ت٧٤٨هـ)؛ أعتنى به: محمد بن عيادي بن عبد الحليم [مكتبة الصفا ـ القاهرة ـ ط١(١٤٢٤ـ٢٠٠٣م)].
ـ صلاح الدين الايوبي: د علي محمد الصلابي[دار ابن رجب ـ القاهرة، ط١(١٤٢٩هـ ـ٢٠٠٨م)].
ـ الفقه على المذاهب الأربعة: عبد الرحمن الجزيري
ـ الكامل في التاريخ: عز الدين ابو الحسن علي بن ابو الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير (ت٦٣٠هـ)؛ تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا [دار المعرفة ـ بيروت ، ط ١(١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م)].
ـ كتاب العرش: الامام الذهبي ؛ تحقيق : محمد بن خليفة التميمي(رسائل الجامعة الاسلامية).
ـ المجموع شرح المهذب للشيرازي : الامام ابو زكريا محي الدين بن شرف الدين النووي(ت٦٧٦هـ)؛ تحقيق محمد نجيب المطيعي[دار احياء التراث العربي ـ بيروت ط١(الطبعة الكاملة)].

ـ المغني: الامام موفق الدين ابو محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة(ت٦٢٠هـ)، ويليه الشرح الكبير: الامام شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن قدامة(ت٦٨٢هـ)؛ تحقيق محمد شرف الدين خطاب ومحمد السيد[دار الحديث ـ القاهرة(١٤٢٥هـ ـ٢٠٠٤م)

ـ الناصر صلاح الدين: د سعيد عبد الفتاح عاشور[الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ مكتبة مصر (١٣٨٤هـ ـ١٩٦٥م)].

ـ الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي(ت٧٦٤هـ)؛ تحقيق ابو عبد الله جلال الاسيوطي [منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م)].

ـ وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان: ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابو بكر بن خلّكان (ت ٦٨١هـ)؛ تحقيق الدكتور يوسف علي الطويل والدكتورة مريم قاسم طويل [منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)]